معارضة القرآن الكريم



إعداد:
الباحثة/ زينب بنت عصام ريحان
دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن
قسم الكتاب والسنَّة بجامعة أمِّ القرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ملخَّص البحث:

هذا بحثٌ بعنوان: "**مُعارَضة القرآن**"، وقد هدف إلى بيان نشأة المحاولاتِ التي عارضت القرآن الكريم، ودواعيها وآثارِها، وذِكر قصص بعض من عارضوا القرآن الكريم، وبيان مصير تلك المعارضات، وما آلتْ إليه، وقد اعتمد البحث على المنهجَ الاستقرائي التحليلي، واحتوى على مقدِّمة، وثلاثة مباحثَ، وخاتمةٍ.

أمَّا المقدِّمةُ فاحتوت على: أهميَّة الموضوع، وأهدافه، وحدود البحث، والدِّراسات السَّابقة، ومنهج البحث، ومخطَّط البحث.

وأمَّا المبحث الأوَّل فجاء لتعريف معارَضة القرآن لغةً واصطلاحًا، وأمَّا المبحثُ الثاني، فهو بعنوان: دواعي معارَضة القرآن، والآثار التي ترتَّبت عليها، وأمَّا المبحث الثالث فتناول أشخاصًا شاعَ عنهم معارَضة القرآن الكريم، وهم: النَّضر بن الحارث، ومُسيلِمة الكذَّاب، وعَبهَلة بن كعب، وطُليحة بن خُويلد الأسَدي.

ثم خُتِم البحث بخاتمة اشتملت على أهم النَّتائج، ومنها: أن كلَّ محاولات معارَضة القرآن قد انتهت بالإخفاق التَّامِّ، وكان من أثرها أنْ سجَّلتْ لنا شواهدَ وقصصًا تَقطَعُ بصِدقِ القرآن، وأنه كلامٌ مُعجِزٌ، وأن أغلبَ ما شاع عنه أنه

معارَضة للقرآن الكريم كان غايةً في التفاهة والسُّخْف، ولا يصحُّ تسمية ذلك معارضة؛ لأنها لا ترقى إلى أن توضع في ميزان واحدٍ للمقارنة مع القرآن الكريم.

كما اشتملت الخاتمة على التوصيات، كان من أهمها: جمع كل الروايات الواردة عن قصص المعارضين، وتفنيدها، وبيان صحيحها من سقيمها، اعتمادًا على الأدلة؛ ليكون بحثًا قيِّمًا في بابه. وقد ذُيِّل البحث بقائمة للمصادر والمراجع.

هذا، وأسألُ اللهَ التَّوفيقَ والسَّداد، وصلَّى الله على نبيِّنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

الكلمات المفتاحية: معارضة – القرآن الكريم – محاولة.

Abstract:

This research entitled: "Attempts to produce something similar to the Qur'an", aimed to show the emergence of attempts that sought to produce a similarity to the Holy Qur'an, and their causes and effects, and mention the stories of some of those who attempted to produce something similar to the Holy Qur'an, and explain the fate of those attempts and what they have become. The research used the inductive analytical approach, and contained an introduction, three sections and a conclusion.

The introduction contained: the importance of the topic, its objectives, the research limits, its methodology and procedures, previous studies, and the research plan.

The first section, defines the attempts to produce a similarity to the Qur'an in terms of language and terminology, and the second section, entitled: the reasons for attempting to produce a similarity to the Qur'an, and the effects that resulted from it, and the third section has dealt with people who were rumored to imitate the Qur'an, namely: Al-Nadr Ibn Al-Harith, Musaylamah the Liar, Abhala Ibn Kaab, and Tulayha Ibn Khuwaylid Al-Asadi.

Then the research concluded with a conclusion that included the most important results, mainly: that all attempts to imitate the Qur'an have ended in complete failure, and as a result we have recorded evidence and stories that prove the truthfulness of the Qur'an, and that it is a miraculous speech, and that most of what was said to be an imitation of the Holy Qur'an was very trivial and absurd, and it is not correct to call it an imitation, because it does not amount to being

placed in one balance for comparison with the Holy Qur'an. The conclusion also included recommendations, the most important of which were: collecting all the accounts received about the stories of imitators, refuting them, and clarifying their authenticity and their ills, based on evidence, thus, make it a valuable research in this regard.

The research was appended with a list of sources and references.

I ask Allah for success and guidance, and may Allah's prayers be upon our Prophet Muhammad, his family and all his companions.

Keywords: to produce a similarity - Holy Quran - attempt.

المقدِّمة:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلام على خَيرِ الخَلْق أجمعين، محمدٍ ﷺ.

أمَّا بعدُ:

فقد كان العربُ أهلَ فصاحةٍ وبلاغةٍ، عُرِفوا بذلك حتى لم يَعُد يُبارِيهم في هذا الميدان أحدٌ، فجاء القرآنُ لِيتحدَّاهم بمعجزةٍ هي من جنس ما بَرَعُوا فيه، مُظهِرًا لهم بذلك، وبما لا يدع مجالًا للشَّكِّ، صِدقَ ما جاء به محمدٌ ﷺ؛ فيؤمن كلُّ باحث عن الحقّ.

وبالرَّغم من وضوح هذا الحقِّ وسُطوعه أبى بعضُهم – استكبارًا، وعِنادًا – الإذعانَ له، فاتَّهموا محمدًا ﷺ تارةً بأنَّه مجنونٌ، وتارةً بأنَّه ساحرٌ... إلى غيرِ ذلك من التُّهمِ اليائسة البائسة؛ للإساءةِ إليه في محاولةٍ للقضاءِ على ما جاء به، ثم آلَ بهم المآلُ إلى أنْ حاوَلوا معارَضة القرآن لإثباتِ أنَّه من جنسِ كلامِ البشَر، ولا إعجازَ فيه، وليكون – توهُّمًا، وتخيُّلًا منهم– لمَّا حاولوا المعارَضة به القبول الذي كان للقرآن فما كان مصيرُ تلك المحاولات؟ وما هي دواعيها؟ هذا ما سيتطرَّق إليه هذا البحثُ – إنْ شاء الله.

❖ **أهميَّة الموضوع:**

١– ارتباطه بأشرفِ كتابٍ وأعظم كلامٍ؛ وهو كلامُ الله ﷻ.

٢– بيانُ إعجاز القرآن الكريم، وصِدق نبوَّة محمد ﷺ.

٣- بيانُ أنَّ إنكارَ الحق ومحاولةَ إزهاقه هي دَأَبُ المستكبر العاجز.

❖ **أهداف الموضوع:**

يهدف هذا الموضوع إلى:

١- بيانِ نشأةِ المحاولاتِ التي عارضت القرآن الكريم، ودواعيها وآثارِها.

٢- بيانِ بعضٍ من المعارضين للقرآن وقَصَصهم.

٣- بيانِ مصير تلك المعارضات، وما آلتْ إليه.

❖ **حدود البحث:**

يتناول البحثُ معارَضة القرآن الكريم: تعريفَها، ونشأتَها، ودواعيها، والآثارَ المترتِّبة عليها، وقصصَ بعض المعارضين للقرآن الكريم.

❖ **الدِّراسات السَّابقة:**

بعد البحث تبيَّن وجودُ عددٍ من الدِّراسات التي تطرَّقت لهذا الموضوع، وأفردتْه بالدِّراسة، فيما يلي طائفةٌ منها.

١- مُعارَضات القرآن الكريم مَزاعمَ وشُبهاتٍ، للدكتور محسن سميح الخالدي، جامعة النَّجاح الوطنية، كليَّة الشَّريعة، قِسم أصول الدين- فلسطين- لم أقف على تاريخه.

تطرَّق فيه الباحثُ لتعريف المعارَضة لغةً واصطلاحًا، ثمَّ شَرَع يعدِّد الذين عزموا على المعارَضة، ولم يقوموا بها، والذين نُقلتْ عنهم محاولةُ المعارَضة، وختم بمبحثٍ يدلِّل على أنَّ المشركين لم يعارضوا القرآن؛ لتعذُّر المعارَضة عليهم، وثمَّ تشابهٌ عامٌّ بين جزءٍ ممَّا تطرَّق له بحثي وهذا البحث، وهو في التَّعريف وتَعداد بعض الذين حاولوا المعارَضة، ولكنْ ثمَّة اختلافٌ في المعالَجة، وكذا في بعض المباحث بالكُليَّة.

٢- معارَضة القرآن في المعيار الأسلوبي ممَّن ادَّعى النُّبوَّة أُنموذجًا، للأستاذ الدكتور مشكور كاظم العوادي، بحثٌ منشور في مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة، عام ٢٠٠٧م.

وتطرَّق الباحثُ فيه إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: "معارَضة القرآن ومعارضوه بين الثُّبوت والإثبات".

المبحث الثاني: "معارَضة القرآن في التَّحليل الأسلوبي".

المبحث الثالث: "التَّبايُن الأسلوبي بين المعارَضة والسُّوَر القِصار".

وليس ثمَّ تشابهٌ بين بحثي وهذا البحث تقريبًا إلَّا في التَّعريج على سيرة بعض الذين حاولوا معارَضةَ القرآن.

٣- التَّحدِّي وطلب المعارَضة، للدكتورة منال بنت منصور محمد القُرشي، الأستاذ المساعد بجامعة الطَّائف، بحث منشور في المجلَّد الثامن من العدد الثالث والثلاثين لحَوليَّة كليَّة الدِّراسات الإسلامية والعربية للبنات، عام ٢٠١٧م.

وقد تطرَّق هذا البحثُ للتَّعريفات والوجوه، ثمَّ لعَجْز العرب عن المعارَضة مع توافر الدَّواعي لذلك، وفي المبحث الأخير ذكر بعضَ الذين نُقلتْ عنهم المحاولة الفاشلة المفضوحة لمعارَضة القرآن الكريم.

وثمَّ تشابُهٌ بين بحثي وهذا البحث، غير أنَّ ثمَّة اختلافًا في المعالجة، وبعض المطالب.

وهناك الكثيرُ من المؤلَّفات التي تطرَّقت إلى هذا الموضوع عَرَضًا في أسطُرٍ قليلة. وقد وقفتُ على ثلاثةِ مؤلَّفاتٍ كانتْ لها عنايةٌ بهذا الموضوع:

- إعجاز القرآن والبلاغة النبويَّة، للأديب الكبير مصطفى صادق بن عبد الرزَّاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرَّافعي (المتوفَّى: ١٣٥٦ ه).
- المُغني في أبوابِ الحقِّ والتَّوحيد، لأبي الحسن، عبد الجبَّار الأسدابادي (المتوفَّى: ٤١٥ ه).
- أسرار إعجاز القرآن، للأستاذ الدكتور مصطفى جمال النَّجَّار (المتوفَّى: ١٤٤٤هـ).

مع العلم باختلاف مَسالك الدِّراسات السَّابقة عن مسْلكي في بحثي هذا نَوعًا ما، كما أنَّها لم تتطرَّق إلى بعض الأمور التي سأعرِّجُ عليها.

❖ **منهج البحث:**

اتَّبعتُ في بحثي هذا المنهجَ الاستقرائي التحليلي.

❖ **مخطَّط البحث:**

يتكوَّن مخطَّطُ البحث من مقدِّمةٍ، وثلاثةِ مباحثَ، وخاتمةٍ، وذلك على النَّحو التَّالي:

المقدمة، وتحتوي على: أهميَّة الموضوع، وأهدافه، وحدود البحث، والدِّراسات السَّابقة، ومنهج البحث، ومخطَّط البحث.

المبحث الأوَّل: تعريف معارَضة القرآن.

ويحتوي على ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأوَّل:** تعريف القرآن والمعارَضة لغةً.
- **المطلب الثاني:** تعريف القرآن والمعارَضة اصطلاحًا.
- **المطلب الثالث:** تعريف المصطلح المركَّب (معارَضة القرآن).

المبحث الثاني: دواعي معارَضة القرآن، والآثار التي ترتَّبت عليها.

ويحتوي على ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأوَّل:** دواعي معارَضة القرآن.
- **المطلب الثاني:** اعتراف العرب بعجزهم بلسان حالهم ومقالهم.
- **المطلب الثالث:** الآثار التي ترتَّبت على محاولات معارَضة القرآن.

المبحث الثالث: أشخاص شاعَ عنهم معارَضة القرآن الكريم.

ويحتوي على أربعة مطالب:

- **المطلب الأوَّل:** النَّضر بن الحارث.
- **المطلب الثاني:** مُسيلِمة الكذَّاب.
- **المطلب الثالث:** عَبهَلة بن كعب.
- **المطلب الرابع:** طُليحة بن خُويلد الأسَدي.

الخاتمة: وتحتوي على: أهم النتائج والتوصيات

فهرس المصادر والمراجع.



المبحث الأول
تعريف معارَضة القرآن

المطلب الأول: تعريف القرآن لغةً واصطلاحًا:

- **أوَّلًا: تعريف القرآن لغةً:**

القرآن: من "(قَرِيَ)، والقافُ، والرَّاءُ، والحرفُ المعتلُّ أصلٌ صحيح يدلُّ على جمعٍ واجتماعٍ، ومنه القرآن؛ كأنَّه سُمِّيَ بذلك لجَمعِه ما فيه مِن الأحكام، والقَصَص، وغير ذلك"[١]، أو أنَّه "سُمِّيَ قرآنًا لأنَّه يَجمع السُّوَرَ، فيَضمُّها"[٢].

"وقرأتُ الشَّيءَ قرآنًا: جمعتُه، وضَممتُ بعضَه إلى بعض"[٣]، "ومنه قولُهم: ما قَرأتْ هذه النَّاقةُ سَلًى قَطُّ"[٤].

- **ثانيًا: القرآن اصطلاحًا:**

"هو المُنزَّل على الرَّسول، المكتوبُ في المصاحف، المنقولُ عنه نقلًا متواترًا بِلا شُبهة"[٥].

كما عُرِّف بأنه: "كلامُ الله المنزَّلُ على نبيِّه محمدٍ ﷺ، المُعجِزُ بلفْظه، المتعبَّدُ بتلاوته، المنقولُ بالتَّواتُر، المكتوبُ في المصاحف، من أوَّل سُورة الفاتحة إلى آخِر سورة النَّاس"[٦].

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/٧٨).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١/١٢٨).

(٣) الصِّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية، للفارابي (١/٦٥).

(٤) تهذيب اللُّغة، للهَروي (٩/٢٠٩)، والصِّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية، للفارابي (١/٦٥).

(٥) التعريفات، للجُرْجاني (ص: ١٧٤).

(٦) المدخل لدراسة القرآن الكريم، لأبي شَهْبة (ص: ٢١).

المطلب الثاني: تعريف المعارَضة لغةً واصطلاحًا:

- **أوَّلًا: المعارَضة لغةً:**

أصلُها من "(عَرَضَ)، العَيْنُ، والرَّاء، والضَّاد بناءٌ تَكثُر فُروعُه، وهي – مع كثرتها – تَرجعُ إلى أصلٍ واحد، هو العَرْضُ الذي يخالفُ الطُّولَ... ومنه اشتُقَّتِ المعارَضةُ. وهذا هو القياسُ، كأنَّ عَرْضَ الشَّيءِ الذي يَفعَله مِثْلُ عَرضِ الشَّيءِ الذي أتاه"[(١)].

و"عارَض فلانٌ بسِلْعته. أي: أَعطَى واحدةً، وأخذ أُخرى"[(٢)]، "وعارضْتَه بمِثلِ ما صَنَعَ، إذا أتيتَ إليه بمِثلِ ما أَتَى إليك"[(٣)].

و"المعارَضة: هي – فِي اللُّغَة – عبارَةٌ عَن المُقابَلة على سبيل المُمانَعة والمُدافَعة، يُقَال: لِفلانٍ ابنٌ يُعارضه. أي: يُقابله بالدَّفع والمَنْع، ومنه سُمِّيَ المَوَانِعُ عَوَارِضَ"[(٤)].

- **ثانيًا: المعارَضة اصطلاحًا:**

هي: "إقامةُ الدَّليل على خلاف ما أقام الدَّليلَ عليه الخَصْمُ"[(٥)].

أو هي: "تَسْلِيمُ دَلِيل المُعَلَّل دون مدلوله، والاستدلالُ على خلاف مدلُوله"[(٦)].

والمرادُ بالمعارَضة في اصطلاح الفُصَحاء والبُلَغاء: "إنشاءُ كلامٍ جديد باستحداث معنًى بديعٍ رائعٍ أخَّاذ يُغالِب به القَرينُ قَرينَه في قوَّة اللَّفظ وجَزالته،

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٤/٢٦٩-٢٧٢).

(٢) العين، للخليل بن أحمد (١/٢٧١).

(٣) المصدر السابق (١/٢٧٢).

(٤) الكليات، لأَبي البَقاء الكفوي (ص: ٨٥٠).

(٥) التعريفات، للجُرْجاني (ص: ٢١٩). وينظر: الحدود الأنيقة والتَّعريفات الدَّقيقة، لزكريا السُّنَيكي (ص: ٨٣)، والتَّوقيف على مهمَّات التَّعاريف، للمُناوي (ص: ٣٠٩).

(٦) الكليَّات، لأَبي البَقاء الكفوي (ص: ٨٥٠).

ويُصارعه في عظيم معناه"[١].

المطلب الثالث: تعريف المصطلح المركَّب (معارَضة القرآن):

من الممكِن أنْ يُستخلَص ممَّا سبق تعريفٌ لمعارَضة القرآن؛ فيقال:

معارَضة القرآن تعني: محاولةَ إقَامَة الدَّلِيل على خلاف الدَّلِيل الذي قام عليه كلامُ الله الذي أنزله على نبيّه ﷺ، عن طريق إنشاءِ كلامٍ جديد، باستحداث معنًى بديعٍ أخَّاذٍ يُغالَبُ به القرآنُ الكريم في قُوَّةِ اللَّفظ وجَزالته؛ لأغراضٍ ودواعيَ مختلفةٍ يأتي الحديثُ عنها[٢].

وينبغي التَّنبيهُ هنا على أنَّ المعارَضةَ لا تعني استراقَ كلام الخَصْم، وتبديلَ كلمةٍ منه بأخرى، والسَّيرَ على النَّسَقِ نفْسه؛ فذلك لا يُسمَّى معارَضة، وإلا لأمْكَن لمن شاء أن يعارض دون أن يكون صاحبَ فكرٍ، أوْ له أيُّ صِلةٍ بالفنّ[٣].

يقول الخطَّابي: "وسبيلُ مَنْ عارضَ صاحبَه في خُطبةٍ أو شِعر أن ينشئَ له كلامًا جديدًا، ويُحدِثَ له معنًى بديعًا، فيُجاريه في لفظه، ويباريه في معناه؛ ليُوازنَ بين الكلامَين؛ فيُحكَمَ بالفَلْجِ لِمن أَبرَّ منهما على صاحبه، وليس بأنْ يَتحيَّفَ من أطراف كلام خَصمه، فيَنسِفَ منه، ثم يُبدِّلَ كلمةً مكانَ كلمةٍ، فيَصِلَ بعضَه ببعضٍ وَصْلَ ترقِيعٍ وتلفيقٍ، ثم يزعُم أنْ قد واقفه موقفَ المعارضين"[٤].



---

(١) أسرار إعجاز القرآن، للدكتور مصطفى النجَّار (ص:٦٠).

(٢) استفدتُه من تعريف المعارَضة في: التعريفات، للجُرْجاني (ص: ٢١٩)، والحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، لزكريا السُّنيكي (ص: ٨٣)، والتوقيف على مهمَّات التعاريف، للمناوي (ص: ٣٠٩)، وأسرار إعجاز القرآن، للدكتور مصطفى النجَّار (ص:٦٠).

(٣) ينظر: أسرار إعجاز القرآن، للدكتور مصطفى النجَّار (ص:٥٩).

(٤) بيان إعجاز القرآن (ص: ٥٨).

المبحث الثاني
دواعي معارَضة القرآن والآثار التي ترتَّبتْ عليها

المطلب الأوَّل: دواعي معارَضة القرآن:

نزل القرآنُ الكريم في أمَّة عربية فصيحة بليغة، توافرتْ فيها وبكثرة الدَّواعي التي تستوجب وقوعَ المعارَضة منها؛ ذلك أنَّ توفُّرَ الدَّواعي يَلزَم منه أحدُ أمرَين: إمَّا وجودُ المعارَضة ووقوعها، وإمَّا القطعُ بعَجْزهم.

وهذه بعضُ الدَّواعي التي توفَّرت لمعارَضة القرآن الكريم:

١- طبعُ العربِ الذي جُبِلوا عليه من عدم التَّسليم للخَصم والاعترافِ بتفوُّقه وعَجْزِهم[١].

فقد كانت لهم أسواقٌ ومبارياتٌ، كسُوق عُكَاظ، وهي سُوقٌ من أسواق العرب بناحية مكة، كانوا يجتمعون فيه شهرًا في كلِّ سنَة، فيَتبارَوْن، ويتناشدون، ويتفاخرون[٢]، وما كان ذلك إلا لِطَبعٍ في نفوسهم جُبِلوا عليه من عدم التَّسليم للخَصم والاعترافِ بتفوُّقه.

٢- تحدِّي القرآنِ للعربِ أنْ يأتوا بمِثل هذا القرآن، والآياتُ في ذلك كثيرة؛ فمن ذلك التحدِّي أنْ يأتوا بمِثلِه في قوله -تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[٣].

ثم جاء التحدِّي أن يأتوا بعَشْر سُوَر في قوله -تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾[٤].

---

(١) ينظر: أسرار إعجاز القرآن، للدكتور مصطفى النجَّار (ص:٦٥).

(٢) ينظر: مجمع الأمثال، للميداني (٤٣١/٢).

(٣) سورة الإسراء، آية ٨٨.

(٤) سورة هود، آية ١٣.

إلى أنْ اقتصر التحدِّي على أن يأتوا بسُورةٍ واحدة فقط من مِثْله، قال – تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾[1].

وقال –تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾[2].

يقول السَّعديُّ في تفسيرها: "وإن كنتم – مَعْشَرَ المعاندين للرسول، الرَّادِّين دعوتَه، الزَّاعمين كذبَه – في شكٍّ واشتباه ممَّا نزَّلْنا على عبدنا: هل هو حقٌّ، أو غيرُه؟ فها هنا أمرٌ نِصْفٌ، فيه الفَيْصلةُ بينكم وبينه، وهو أنه بَشَرٌ مِثْلُكم، ليس بأفصحكم، ولا بأعلمكم، وأنتم تَعرِفونه منذ نشأ بينكم، لا يكتُب، ولا يَقرأ، فأتاكم بكتابٍ زعم أنه من عند الله، وقلتم أنتم إنه تقوَّله، وافتراه، فإنْ كان الأمرُ كما تقولون فأْتُوا بسُورةٍ مِن مثْله، واستعينوا بمَن تَقدِرون عليه من أعوانكم وشهدائكم؛ فإنَّ هذا أمرٌ يسيرٌ عليكم، خصوصًا وأنتم أهلُ الفصاحةِ، والخطابة، والعداوةِ العظيمة للرسول، فإن جئتُم بسُورةٍ مِن مِثْله فهو كما زعمتُم، وإن لم تأتوا بسُورة من مِثْله، وعَجَزْتم غايةَ العَجْز، ولن تأتوا بسُورة من مثْله، ولكنَّ هذا التقييم على وجْه الإنصاف والتنزُّل معكم؛ فهذا آيةٌ كبرى، ودليلٌ واضح جليٌّ على صِدقه وصِدق ما جاء به، فيَتعيَّن عليكم اتِّباعُه، واتِّقاءُ النَّار التي بلغتْ – في الحرارة العظيمة والشِّدَّة – أنْ كان وَقُودها النَّاسَ والحجارة"[3].

---

(١) سورة يونس، آية ٣٨.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٥).

وقد كان العربُ يَعلَمون معنى المعارَضة، ويدركون الوجهَ المقصود منها في التحدِّي، ولَوْلا هذا لَمَا كان للتحدِّي فائدةٌ، ولكان من باب العبث، والعبثُ على الله ﷻ ممتنعٌ[1].

٣- ذَمُّ القرآن لآبائهم وآلهتهم -المزعومة- والاستهزاءُ بها، "ووصفُهم بالجهل والعَجْز، وإيعادُهم بالعذاب والنَّكَال وسُوء المُنقلَب، ورميُهم بالكذب والافتراء، وتقبيح الأفعال، وتهجينُ ما هم عليه من الأحكام الفاسدة، وإطالةُ القَول في ذلك وفي شرح أحوالهم، واستقباحُ أعمالهم فيما أُعِدَّ لهم من الهوان والنَّكَال في الدنيا والضَّآل"[2]، وكان لهذا السَّبب الأثرُ البالغ؛ لِما عُرف عنهم من الاعتزاز بأنفُسهم وآرائهم، والافتخار بأسلافهم[3].

٤- الرَّغبة في القضاء على هذا الدِّين والتخلُّص من الرَّسول ﷺ؛ حَسَدًا، وبُغضًا له؛ "فإنّهم كانوا ذوي حِرْصٍ على تكذيبه والرَّدِّ عليه، وحالُهم معه معروفةٌ في معاداته ومعاندته وإظهار بُغضه وأذاه، وقَذفِه بالجنون والشِّعر"[4].

٥- الخوف من أن يَفقِدوا قُوَّتَهم وجاهَهم، ومن أن تكون الغَلَبَةُ والعاقبة للرسول ﷺ؛ فإنَّه لمَّا نزل القرآنُ الكريم خاف زعماءُ قريش على مكانتهم وهيبتهم؛ لا سيَّما وأنهم قد رَأَوْا انقيادَ الناس لهذا الدِّين، وزيادةَ الدَّاخلين فيه، فثارتْ ثائرتُهم وجُنَّ جُنونُهم، فأخذوا يَتخبَّطون يَبغُون سبيلًا للخروج من هذه الورطة، فأخذوا يَرمُون الرسولَ ﷺ بالجنون والسِّحر تارةً، ويحاولون ترغيبه تارةً أخرى بالمال والجاه، وتارةً يحاولون إثباتَ كذبه بمعارَضة القرآن، ومحاولة الإتيان بمِثْله؛ يقول القرطبي: "لمَّا عَجَزوا عن معارَضة القرآن ولَمْ يَرْضَوْا به مُعجِزةً، اجتمعوا... بعد غروب الشَّمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضُهم لبعض: ابعثوا إلى محمد، فكلِّموه،

---

(١) ينظر: أسرار إعجاز القرآن، للدكتور مصطفى النجَّار (ص:٦٤).

(٢) جمال القراء وكمال الإقراء، لعلَم الدين السخاوي (٢٠٦/١).

(٣) ينظر: أسرار إعجاز القرآن، للدكتور مصطفى النجَّار (ص:٦٥).

(٤) جمال القراء وكمال الإقراء، لعلَم الدين السَّخاوي (٢٠٥/١).

وخاصِمُوه؛ حتى تُعذَرُوا فيه، فبعثوا إليه أنَّ أشرافَ قومك قد اجتمعوا إليك ليُكلِّموك، فأْتِهم، فجاءهم رسولُ الله ﷺ وهو يظنُّ أنْ قد بدا لهم فيما كلَّمهم فيه بُدُوٌّ، وكان رسولُ الله ﷺ حريصًا يُحِبُّ رُشدَهم، ويَعِزُّ عليه عَنَتُهم، حتى جلس إليهم، فقالوا له: يا محمدُ، إنَّا قد بعثنا إليك لنُكلِّمَك، وإنَّا - واللهِ - ما نَعلَم رجلًا من العرب أَدخَل على قومه ما أدخلتَ على قومك؛ لقد شتمتَ الآباءَ، وعِبْتَ الدِّينَ، وشتمتَ الآلهةَ، وسفَّهتَ الأحلامَ، وفرَّقتَ الجماعةَ، فما بَقِيَ أمرٌ قبيحٌ إلا قد جئتَه فيما بيننا وبينك، أو كما قالوا له. فإنْ كنتَ إنَّما جئتَ بهذا الحديث تطلُب به مالًا جمعْنا لك من أموالنا؛ حتى تكونَ أكثرَنا مالًا، وإنْ كنتَ إنَّما تطلُب به الشَّرَفَ فينا فنحنُ نُسوِّدُك علينا، وإنْ كنتَ تريد به مُلكًا ملَّكناك علينا، وإنْ كان هذا الذي يأتيك رِئْيًا تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمُّون التَّابعَ من الجِنِّ رِئيًا - فربُّما كان ذلك، بذلْنا أموالَنا في طلب الطِّبِّ لك؛ حتى نُبْرِئَك منه، أو نُعذَرَ فيك. فقال لهم رسولُ الله ﷺ: "ما بي ما تقولون؛ ما جئتُ بما جئتُكم به أطلُب أموالَكم، ولا الشَّرَفَ فيكم، ولا المُلْكَ عليكم، ولكنَّ اللهَ بعثني إليكم رسولًا، وأَنزَل عليَّ كتابًا، وأمرني أن أكون لكم بَشيرًا ونَذيرًا، فبلَّغتُكم رسالاتِ ربِّي، ونصحتُ لكم، فإنْ تَقبَلوا منِّي ما جئتُكم به فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة، وإنْ تَردُّوه عليَّ أَصبِرْ لأمر الله حتى يحكُمَ اللهُ بيني وبينكم"[(١)][(٢)].

فانظُرْ كيف أُسقِط في أيديهم، وبلغ بهم اليأسُ مَبْلغَه! وكيف تقطَّعتْ بهم السُّبُلُ، وانعدمت الحِيَل! فأخذوا يَعرِضون عليه الجاهَ والمال والمُلك، وأيّ شيء يُسكِته عمَّا جاء به؛ خوفًا على جاههم ومُلكهم ووجاهتهم عند الناس، وكأنَّ لسانَ

---

(١) ذُكر هذا الخبر في: سيرة ابن اسحاق (ص: ١٩٧)، وسيرة ابن هشام (٢٩٥/١).

وكذا في: الموسوعة في صحيح السيرة النبوية - العهد المكي، لمحمد الفالوذة (ص: ٤١٢) وهي: دراسةٌ موثَّقة لما جاء من السِّيرة النبويَّة في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة والروايات التاريخية المعتمدة علميًا.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٢٨/١٠).

حالهم يقول: نعطيك – يا محمد – ممَّا عندنا من الجاه والمُلك، ولكنْ تَصمُت وتَنسَى ما جئتَ به، فإنَّا إن لم نُعطِك بعضًا من جاهنا ومالنا لتَصمُتَ فقدناه كلَّه.

٦- الرَّغبة في الحصول على القَبُول والصِّيت الذي كان للقرآن؛ فإنَّ الرسول ‘ لمَّا جاء بالقرآن – وهو أحسنُ ذِكرٍ، وأبلغُ كلامٍ – تَبِعَه خَلْقٌ كثير حتى دخل الناسُ في دِين الله أفواجًا، فظنَّ بعضُ من افترى وكذب وادَّعى النُّبوَّةَ أنه إنْ عارض القرآن واختلق ما هو – في خياله ووهمه – يُشبِه القرآنَ، سيكون له القَبُول ذاتُه والصِّيت، وهيهاتَ هيهات.

المطلب الثاني: اعتراف العرب بعجزهم بلسان حالهم ومقالهم:

لمَّا نزل القرآنُ أدرك العربُ – وهُم أهلُ الفصاحة والبلاغة – أنه كلامٌ مُعجِز، وأدركوا مع ذلك أنَّ البشَر لا يستطيعون أن يأتوا بمثْله، ووقر ذلك في نفوسهم، وظهر في مقال لسانهم وحالهم.

❖ **فمما ظهر من مقال الحال:**

أنَّهم اجتمعوا مع الرَّسول ‘، فقالوا له: يا محمدُ، إنْ كنتَ إنَّما جئتَ بهذا الحديث تطلُب به مالًا جمعْنا لك من أموالنا؛ حتى تكونَ أكثرَنا مالًا، وإنْ كنتَ إنَّما تطلُب به الشَّرَفَ فينا فنحنُ نُسوِّدُك علينا، وإنْ كنتَ تريد به مُلكًا ملَّكناك علينا[(١)].

فانظُرْ كيف ظهر العجزُ جليًّا في حالهم، حتى أخذوا يَعرِضون عليه المالَ تارةً، والشَّرفَ والسِّيادة تارةً، والمُلْكَ تارةً أخرى.

فهُم قد عَلِموا يقينًا أنهم لا يستطيعون أن يبارُوا محمدًا ‘، ولا يُمكِنهم أن يأتُوا بمثْل الذي جاء به، فما بقي أمامهم حين ظهر لهم عجزُهم إلا أنْ يَغْرُوه بما ظنُّوا أنه قد يُغرِيه.

ومما ظهر من مقال حالهم أيضًا، ما كان يُوصِي به كفَّارُ قريش بعضُهم بعضًا بالإعراض عن سماع القرآن؛ خشيةَ أن ينال الحقُّ من قلوبهم، فلو لم يكن آيةً بيِّنةً وحُجَّةً واضحةً معجزة لَمَا كان هناك خوفٌ من سماعه. قال –تعالى:

(١) ينظر نص الأثر في قول القرطبي في المطلب السابق.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [سورة فصلت:٢٦]، قال ابن عاشُور: "الذين كفروا هنا هم أيمَّة الكُفر يقولون لعامَّتهم: لا تسمعوا لهذا القرآن. فإنهم عَلِمُوا أن القرآن كلامٌ هو أكملُ الكلام شريفَ معانيَ، وبلاغةَ تراكيب، وفصاحةَ ألفاظ، وأيقنوا أن كلَّ من يسمعه، وتُداخِل نفْسَه جزالةُ ألفاظه، وسُمُوُّ أغراضه، قضى له فهمُه أنه حَقٌّ اتِّباعُه، وقد أدركوا ذلك بأنفُسهم، ولكنهم غالَبَتْهم محبَّةُ الدَّوام على سيادة قومهم، فتَمَالئوا[1]، ودبَّروا تدبيرًا لمنع الناس من استماعه؛ وذلك خشيةُ من أن تَرِقَّ قلوبُهم عند سماع القرآن، فصرفوهم عن سماعه"[2].

فانظر كيف ظهر العجزُ جليًّا في حالهم، والخوفُ من تأثيره في النفوس.

وممَّا ظهر من مقال حالهم أيضًا أنهم أَعرَضُوا عن الأسهل إلى الأصعب، فانتقلوا من المعارَضة باللِّسان إلى المعارَضة بالسَّيف، مُعرِّضين أنفُسَهم وأموالهم للتَّلَف والهلاك، آيِسِين من أن يأتوا بمثْل هذا القرآن، فلو كانوا يستطيعون أن يأتوا بمثله، أو كانوا يعلمون أنه كلامٌ غيُر مُعجِز لا يؤثِّر في أحد، ولا يقدِّم ولا يؤخِّر، لَمَا لجئوا إلى حيلة العاجز، فتَكبَّدوا عناءَ الحرب؛ ومعلومٌ ما فيها من الخسائر المادية والمعنوية[3].

❖ وممَّا ظهر من مقال لسانهم:

ما حدث مع الوليدِ بن المُغِيرة إذْ قال حين حضر المواسم: إنَّ وفود العرب ستَقَدُم عليكم فيه، وقد سَمِعوا بأمر صاحبكم هذا – يقصد: محمدًا ﷺ – فأَجمِعُوا فيه

(١) تمالئوا: أي تعاونوا، واجْتمع رَأْيهمْ. ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، للحَمِيدي (ص: ٣٩)، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري (٦٣٨٣/٩)، والمعجم الوسيط، لعدد من المؤلفين (٨٨٢/٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧٧/٢٤).

(٣) ينظر: إعجاز القرآن، للباقلاني (ص٢٠).

رأيًا واحدًا، ولا تختلفوا فيكُذِّبَ بعضُكم بعضًا، ويَرُدَّ قولُ بعضكم بعضًا، فقيل: يا أبا عبد شمس، فقُلْ، وأَقِمْ لنا رأيًا نقُوم به، فقال: بل أنتم، فقولوا، وأنا أسمع، فقالوا: نقول: كاهن؟ فقال: ما هو بكاهنٌ؛ رأيتُ الكُهَّانَ، فما هو بزَمْزَمَةِ الكُهَّان. فقالوا: نقول: مجنون؟ فقال: ما هو بمجنونٍ، ولقد رأينا الجنونَ وعَرَفْناه، فما هو بخَنْقِه، ولا تَخَالُجِه، ولا وَسْوَستِه. فقالوا: نقول: شاعر؟ فقال: ما هو بشاعر؛ قد عرفْنا الشِّعرَ برَجَزِه، وهَزَجِه، وقَرِيضِه، ومقبوضِه، ومبسوطِه، فما هو بالشِّعر. قالوا: فنقول: هو ساحر؟ قال: ما هو بساحرٍ؛ قد رأينا السُّحَّار وسِحرَهم، فما هو بنَفْثه ولا بعَقْده. قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ فقال مُقرًّا بلسان مقاله: واللهِ، إنَّ لقوله لَحلاوةً، وإنَّ أصْله لَمُغدِقٌ، وإنَّ فَرْعَه لجَنًى، فما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عُرف أنه باطل، وإنَّ أقرب القولِ لَأَنْ تقولوا: هذا ساحرٌ[١][٢].

فقد عَلِمَ إذنْ أنَّ مثْلَ هذا لا يكون إلا من كلام الله، وأقرَّ عاجزًا صاغرًا بلسانه، وما وجد من التُّهَم إلا أن يقول بعَجزٍ وقلَّة حيلة: ساحر.

ومثالُ ذلك أيضًا ما حدث مع عُتْبةَ بنِ رَبِيعة لَمَّا قرأ عليه الرسولُ ' أوائلَ سورة فُصِّلت، فدَهِشَ، وأخذ يُنصت لها: وألقى بيديه خلْف ظهره معتمِدًا عليهما، يستمع منه حتى انتهى رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وسلم- إلى السَّجدة، فسجد فيها ثم قال: سمعتَ يا أبا الوليد؟ قال: سمعتُ، قال: فأنتَ وذاكَ.

فقام عتبةُ إلى أصحابه، فقال بعضُهم لبعض: نَحلِف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغَير الوجه الذي ذهب به، فلمَّا جلس إليهم قالوا: ما وراءَكَ يا أبا الوليد؟ فقال مُقرًّا بالعجز بلسان مقاله: ورائي أنِّي - واللهِ - قد سمعتُ قولًا ما سمعتُ بمثْله قطُّ، واللهِ ما هو بالشِّعر، ولا السِّحر، ولا الكَهانة، يا مَعْشرَ قريش، أطيعوني واجعلوها بي، خَلُّوا بين هذا الرجُل وبين ما هو فيه، واعتزِلوه، فوَالله ليكوننَّ لقوله

(١) ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٣/٦١).

(٢) ذُكر هذا الخبر في: سيرة ابن اسحاق (ص: ١٥١)، وسيرة ابن هشام (١/٢٧٠). وكذا في: الموسوعة في صحيح السيرة النبوية - العهد المكي، لمحمد الفالوذة (ص: ٣٦١).

الذي سمعتُ نبأ، فإنْ تُصِبْه العربُ فقد كُفِيتموه بغَيركم، وإنْ يَظهر على العرب فمُلْكُه مُلْكُكم، وعِزُّه عِزُّكم، وكنتم أسعدَ الناس به(١)(٢).

فأقرَّ عاجزًا أنَّ القرآن كلامُ الله المُعجِزُ الذي لا يستطيع أنْ يأتي مخلوقٌ بمثْله.

هذه بعضُ الأمثلة على إقرارهم بلسان الحال والمقال، والأمثلةُ في ذلك متعدِّدةٌ متضافرة، تَشهد – بما لا يدع مجالًا للشَّكِّ – أنَّ العرب قد أَقرُّوا – بلسانِ الحال والمقال – أنهم عاجزون أمام القرآن، لا يستطيعون أن يأتوا بمثْله.

المطلب الثالث: الآثار التي ترتَّبت على محاولات معارَضة القرآن:

١– زيادة إثبات إعجاز القرآن أمام العالمين؛ فإخفاق محاولاتهم في معارضته، حتى غَدَتْ أُضحُوكةً لغيرهم، تُظهِر جليًّا أنَّ ما حاولوا معارضتَه مُعجِزٌ لا يُبلَغ أبدًا.

يقول الزُّرْقانيُّ: "وهل أتاك نبأُ الخصم إذ هَمُّوا أنْ يعارضوا القرآنَ؟ فكان ما أَتَوْا به باسْم المعارَضة لا يخرُج عن أن يكون محاولاتٍ مُضحِكةً مُخجِلةً أَخجلتْهم أمام الجماهير، وأضحكت الجماهيرَ منهم، فباءوا بغضبٍ من الله وسَخَطٍ من الناس، وكان مَصرَعُهم هذا كسبًا جديدًا للحقِّ، وبُرهانًا ماديًّا على أنَّ القرآن كلامُ الله القادرِ وحْده، لا يستطيع معارضتَه إنسانٌ ولا جانٌّ، ومن ارتاب فأمامه المَيدان"(٣).

٢– شعور المعارض بعَجْزه وفشله، ومن ثَمَّ إقرارهُ بعَظَمة القرآن، وأنه كلامُ الله، فقلبُه مُقِرٌّ، حتى لو أنكر بلسان حاله.

٣– كانت تلك المحاولاتُ دليلًا صريحًا يَدحَض قولَ مُدَّعي الصَّرْفة ويُبطِله.

---

(١) ينظر: دلائل النبوَّة، للبيهقي (٢/٢٠٥).

(٢) ذُكر هذا الخبر في: سيرة ابن اسحاق (ص: ٢٠٨)، وسيرة ابن هشام (١/٢٩٤).

وكذا في: الموسوعة في صحيح السيرة النبوية – العهد المكي، لمحمد الفالوذة (ص: ٤١١).

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/٣٣٤).

٤- سجَّل التاريخُ تلك المحاولات لتكون شاهدةً على عَجْزِ أبلغ قومٍ وأفصح عصرٍ عن معارَضة القرآن، وهذه شهادةٌ واضحة لتميُّزه.

يقول الدكتور فهدٌ الرُّوميُّ: "لقد سجَّل التاريخُ هذا العجزَ على أهل اللُّغة أنفُسهم في عصر نزول القرآن، وما أدراكَ ما عصرُ نزول القرآن! هو أزهى عصور البيان العربي، وأرقى أدوار التهذيب اللُّغوي، جمعوا الحُشُودَ في الصحراء، ورفعوا المنابرَ في الأسواق، وعَرَضوا فيها أَنفَسَ بَضائعهم، وأجودَ صِناعاتهم، وما البضاعةُ إلا بضاعةُ الكلام، وما الصِّناعةُ إلا صِناعةُ الشِّعر والخَطابة، يَتبارَوْن في عرضها، ويتنافسون في نَقْدها، "فما هو إلا أنْ جاء القرآن، وإذا الأسواقُ قد انفضَّتْ إلا منه، وإذا الأنديةُ قد صَفِرَتْ إلا عنه، فما قَدَرَ أحدٌ منهم أن يباريَه، أو يجاريَه، كرَّروا النَّظرَ ورجَّعوا البصرَ؛ علَّهم يَجِدُون فيه فَجْوةً يَنفُذون منها، فعادَ إليهم البصرُ خاسئًا وهو حَسير"[(١)].

٥- ظهور التميُّز والفرق بين قول البشَر وقول الله -سبحانه، ومَن يَضَعِ القرآنَ وتلك المعارضاتِ جنبًا إلى جنبٍ يَظهَرْ له ذاك البَوْنُ الشَّاسع جدًّا بينهما.

٦- ظهورُ تَفاهة المعارض وسُخْفِه.

يقول أبو زَهْرة: "هذه تَفاهاتُ القول التي نُقلتْ عن الذين حاولوا معارَضة القرآن، وقد أَسَفُّوا في القول، وهَبَطُوا في التفكير، ممَّا لم يُرِدْ أن ينحدرَ إليه أربابُ البيان من قُريش"[(٢)].

---

(١) دراسات في علوم القرآن (ص: ٢٦٤).

(٢) المعجزة الكبرى القرآن (ص: ٥٤).

المبحث الثالث
أشخاص شاعَ عنهم معارَضة القرآن الكريـــم

تمهيد:

"التاريخُ لا يخلُو من أسماءِ قومٍ قد زعموا أنهم عارَضُوا القرآنَ؛ فمنهم من ادَّعى النُّبوَّةَ، وجعل ما يلقيه من ذلك قرآنًا؛ كَيْلا تكون صَنعتُه بلا أداة... ومنهم من تَعاطَى معارَضة القرآن صناعةً، وظنَّ أنه قادرٌ عليها يَضَعُ لِسانَه منها حيث شاء.

وهؤلاء وأولئك لا يتجاوزون في كلِّ أرضٍ دخلها الإسلامُ، من بلاد العرب والعَجم إلى اليوم، عددَ ما تراه من عانةٍ ضئيلةٍ تَعرِض لك من حُمُرِ الوَحْش في جانب البَرِّ الواسع، ثم تَغيب وتَسْفِي الريحُ على آثارها، وسنَعُدُّ لك عَدًّا لتَصْدُرَ في هذه الدَّعوى عن رَويَّة، وتحكُمَ في تاريخ المعارَضة عن بيِّنة، وتَعلَم القدْرَ الذي بلغوه أو قيل إنهم بلغوه؛ فإنَّ حصرَ ذلك وبيانَه على جِهته يُشبِه أنْ يكونَ بعضَ ما يشهد به التاريخُ من إعجاز القرآن.

وإنَّ الحقَّ ليُجمِع عليه الناسُ كافَّةً، ثم يكابِر فيه الواحدُ والاثنان والنَّفَرُ والرَّهْطُ، فتكون مُكابَرتُهم فيه وجهًا من الوجوه التي يُثبَت بها ويُغلَب"[١].

المطلب الأول: النَّضر بن الحارث:

هو النَّضرُ بنُ الحارث بن كَلَدَةَ بنُ عَلْقَمةَ بنُ عبد مناف بن عبد الدَّار بن قُصَيٍّ[٢]، كان أَشَدَّ قُرَيْشٍ في تكذيب النَّبِيِّ ﷺ والأذَى له ولأصحابِه[٣]، وكان من شياطين قريش؛ ناصَبَ رسولَ الله ﷺ العداوةَ، وكان قد قَدِمَ الحِيرةَ، وتَعلَّم بها أحاديثَ

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للرافعي (ص: ١٢٠).

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام (٢٩٩/١)، وزهر الآداب وثمر الألباب، للقيرواني (٦٦/١)، والكامل في التاريخ، لابن الأثير (٦٧٠/١).

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٦٧٠/١).

ملوك الفُرْس، وأحاديثَ رستم وإسبنديار[١]، فكان إذا جلس رسولُ الله ‘ مَجْلسًا، فذكَّر فيه بالله، وحذَّر قومَه ما أصاب مَن قبلهم من الأُمَم من نِقْمة الله؛ خَلَفَه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنَا – واللهِ – يا مَعْشَر قريش، أحسنُ حديثًا منه، فهَلُمَّ إليَّ؛ فأنا أحدِّثكم أحسنَ من حديثه، ثم يحدِّثهم عن ملوك فارسٍ ورُستُمَ وإسبنديار، ثم يقول: بماذا محمدٌ أحسنُ حديثًا منِّي؟[٢].

وقيل: هو الذي قال: سأُنزل مِثْلَ ما أنزل اللهُ[٣].

والنَّضرُ بن الحارث لم يَدَّع النبوَّةَ ولا الوحيَ، ولكنه زعم أنه يعارض القرآنَ، فلفَّق شيئًا من أخبار الفُرس وملوك العَجَم، ومَخْرَقَ بذلك؛ لأنه جاء بأخبارٍ يَجهلها العربُ[٤].

ومن العجيب أنه – على الرَّغم من أذيَّته للرسول ‘ ومحاربته، وادِّعائه أنَّ ما يأتي به خيرٌ من القرآن – قد كان في قرارة نفْسه يُقِرُّ ويؤمن أنَّ الحقَّ كلَّ الحقِّ مع النبي ‘؛ فقد قام يومًا في قريش، وقال لهم: "يا مَعْشَرَ قريش، إنَّه – واللهِ – قد نزل بكم أمرٌ ما أَتيتم له بحِيلةٍ بعدُ؛ قد كان محمدٌ فيكم غلامًا حَدَثًا؛ أَرْضاكم فيكم، وأَصدَقَكم حديثًا، وأعظمَكم أمانةً، حتى إذا رأيتم في صُدْغَيه الشَّيبَ، وجاءكم بما جاءكم به؛ قلتم ساحرٌ، لا واللهِ ما هو بساحرٍ؛ لقد رأينا السَّحَرةَ، ونَفْثَهم، وعَقْدَهم، وقلتم كاهنٌ، لا والله ما هو بكاهنٍ؛ قد رأينا الكَهَنةَ وتَخالُجَهم، وسَمِعْنا سَجْعَهم، وقلتم شاعرٌ، لا واللهِ ما هو بشاعر؛ قد رأينا الشِّعرَ، وسَمِعنا أصنافَه كلَّها هَزَجَه، ورَجَزَه، وقلتم مجنونٌ، لا واللهِ ما هو بمجنون؛ لقد رأينا الجنونُ فما هو بخنقِه، ولا

---

(١) ينظر: سيرة ابن هشام (١/٣٠٠)، والكامل في التاريخ، لابن الأثير (١/٦٧٠)، والأعلام، للزِّركلي (٨/٣٣).

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام (١/٣٠٠).

(٣) ينظر: سيرة ابن هشام (١/٣٠٠).

(٤) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للرافعي (ص: ١٢٤).

وسوستِه، ولا تخليطِه. يا مَعشَرَ قريشٍ، فانظُروا في شأنكم؛ فإنَّه – واللهِ – لقد نزل بكم أمرٌ عظيم"[(١)].

وقد أَسَرَ المِقْدادُ النَّضرَ يومَ بَدْرٍ، وأمر رسولُ اللَّهِ ‘ بِضَرْبِ عُنُقِه، فقتله عليُّ بنُ أبي طالبٍ صَبْرًا بِالأُثَيْل[(٢)].

● **والمتأمِّلُ لقصَّة النَّضر يَلحَظ جليًّا أمرين:**

– الأوَّل: أنَّ عداوته وأذيَّته للرسول ‘ كانت حِقدًا عليه، وحَسَدًا له، ولا أدلَّ على ذلك من أنه كان يتربَّص مَجالِسَه، ثم يقول: قد جئتُ بخَيرٍ ممَّا جاء به، ويَذُمُّ ما قالَه[(٣)]؛ فكأنَّه خافَ من اتِّباعهم لمحمدٍ –صلواتُ ربِّي وسلامُه عليه، أو أراد أن تكون العاقبةُ له، فقام يَنسِج خُرافاتٍ أحضرها من هنا وهناك، ثم يقول: بماذا محمدٌ أحسنُ حديثًا مني؟

– الثاني: أنَّه كان يَعلَم يقينًا أنَّ ما جاء به محمد ‘ حقٌّ، وقد صرَّح بذلك لقومه[(٤)]، لكنَّه مع ذلك لم يؤمن، وحارَب، وعانَد، وآذى استكبارًا؛ فإنَّه في باطنه كان مُقِرًّا بنبوَّة محمدٍ ‘، وبصِدق ما جاء به، لكنَّه في ظاهره أَبَى إلا الاستكبارَ.

المطلب الثاني: مُسيلمة الكذَّاب:

هو مُسيلِمةُ بنُ ثُمَامَةَ بن كَبيرِ بن حَبيبٍ الحَنَفيُّ الوائلي، ويُكنَى أبا ثمامة[(٥)].

(١) سيرة ابن هشام (٢٩٩/١)، وينظر: الموسوعة في صحيح السيرة النبوية – العهد المكي، لمحمد الفالوذة (ص: ٤١٥).

(٢) ينظر: زهر الآداب وثمر الألباب، للقيرواني (٦٥/١)، الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٦٧٠/١).

(٣) ينظر: سيرة ابن هشام (٣٠٠/١).

(٤) ينظر: سيرة ابن هشام (٢٩٩/١)، الموسوعة في صحيح السيرة النبوية – العهد المكي، لمحمد الفالوذة (ص: ٤١٥).

(٥) ينظر: سيرة ابن هشام (٥٧٦/٢)، والأعلام، للزِّركلي (٢٢٦/٧).

قَدِمَ على رسول الله ˚ مع وفدٍ من بني حَنيفة[١]، فِي آخِرِ سَنَةِ عَشْرٍ للهجرة[٢]، وجاء وفدٌ من بني حَنيفة لرسول الله ˚، وخلَّفوا مُسيلِمةَ في رِحالهم، فلمَّا أسلموا ذكروا مكانَه، فقالوا: يا رسولَ الله، إنَّا قد خلَّفْنا صاحبًا لنا في رِحالنا وفي رَكائبنا يحفظها لنا، فأمر له رسولُ الله ˚ بمِثل ما أمر به للقَوم، وقال: «**أَمَا إنَّه ليس بشرِّكم مكانًا**»؛ أي لِحِفظِه ضَيْعةَ أصحابه، ذلك الذي أراد رسولُ الله ˚. ثم انصرفوا عن رسول الله ˚، وجاءوا مُسيلِمةَ بما أعطاه رسولُ الله ˚، فلمَّا انْتَهَوْا إلى اليمامة ارتدَّ عدوُّ الله، وتنبَّأ، وتكذَّب لهم. وقال: إنِّي قد أُشركتُ في الأمر معه، وقال لوفده الذين كانوا معه: ألمْ يقلْ لكم حين ذكرتموني له: أَمَا إنَّه ليس بشَرِّكم مكانًا! ما ذاك إلا لِما كان يَعلَم أنِّي قد أُشركتُ في الأمر معه، ثم جعل يَسجَعُ لهم السَّجْعاتِ، ويقول لهم فيما يقول مُضاهاةً للقرآن: لقد أَنعَمَ اللهُ على الحُبْلَى، أَخرَجَ منها نَسْمَةً تَسعَى، مِن بينِ صِفَاقٍ وحَشا[٣].

وممَّا جاء به من الخُزَعْبَلاتِ التي أراد أن يعارضَ بها القرآنَ: "واللَّيلِ الأضخمْ، والذِّئبِ الأَدلَم، والجَذَعِ الأزْلم، ما انتهكتْ أسيدٌ من مَحْرَم"[٤].

"يا ضِفْدَعُ نِقِّي كَمْ تَنِقِّين! لا الماءَ تُكدِّرين، ولا الشُّربَ تَمنَعين"![٥].

"والشَّاءِ وألوانِها، وأَعجُبِها السُّودِ وألبانها، والشَّاةِ السَّوداءِ، واللَّبنِ الأبيض، إنه لعَجَبٌ مَحْضٌ، وقد حُرِّمَ المَذْقُ، فما لكم لا تَمجَّعون"[٦].

" الفِيلُ ما الفِيلُ، وما أدراكَ ما الفيلُ، له ذَنَبٌ وَبيلٌ، وخُرْطُومٌ طَويل"[١].

(١) ينظر: سيرة ابن هشام (٥٧٦/٢).

(٢) ينظر: تاريخ الرسل والملوك، للطبري (١٤٦/٣).

(٣) ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٥٠/٥).

(٤) إعجاز القرآن، للباقلاني (ص: ١٥٦).

(٥) أعلام النبوَّة، للماوردي (ص: ٨٨).

(٦) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للرافعي (ص: ١٢٢).

"إنَّا أعطيناك الجَمَاهِرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وجاهِرْ "[٢].

"والطَّاحناتِ طَحْنًا، والعاجناتِ عَجْنًا، والخابزاتِ خَبْزًا"[٣].

والواضح أن "مسيلمة لم يرد أن يعرض للقرآن من ناحية الصناعة البيانية؛ إذ كانت هذه الناحية أوضح من أن يَلتَبِس أمرُها عليه، أو أن يستطيع تلبيسها على أحد من العرب، وإنما أراد أن يتخذ سبيله إلى استهواء قومه"[٤].

يقول الزُّرْقانيُّ معلِّقًا على ما نُقل عن مسيلمة في معارَضة القرآن: "وأنتَ خبيرٌ بأنَّ مِثلَ ذلك الإسفافِ ليس من المعارَضة في قليلٍ ولا كثير، وأين مُحاكاةُ البَبَّغاءِ من فصاحة الإنسان! وأين هذه الكلماتُ السُّوقيةُ الرَّكيكةُ من ألفاظ القرآن الرَّفيعة ومعانيه العالية! وهلِ المعارَضة إلا الإتيانُ بمِثلِ الأصلِ في لُغته وأسلوبه ومعانيه، أو بأرقى منه في ذلك!"[٥].

ومِن شِدَّة وقاحته وسُخْفه أنه كتب إلى رَسُول الله ‘ يدَّعي أنه أُشرِك معه فِي النُّبُوَّةِ! فأرسل إليه يقول: "مِن مُسيلِمة رَسُولِ اللَّهِ إلى محمدٍ رَسُول اللَّهِ: سلامٌ عليك، فإنِّي قد أُشرِكتُ فِي الأمر معك، وإنَّ لنا نصفَ الأرض، ولِقُريشٍ نصفَ الأرض، ولكنَّ قريشًا قومٌ يعتدون".

فقَدِمَ عليه رسولان بهذا الكتاب، فقال لهما الرَسُولَ ‘ حين قَرَأا كِتَابَ مُسَيْلِمَةَ: فما تقولانِ أنتما؟

قالا: نقول كما قال.

فَقَالَ: أَمَا واللَّهِ، لَوْلا أَنَّ الرُّسُلَ لا تُقتل لَضَرَبْتُ أعناقَكما.

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للرافعي (ص: ١٢٢).

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزُّرْقاني (٢/٣٣٤).

(٣) المصدر السابق (٢/٣٣٤).

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزُّرْقاني (٢/ ٣٣٤).

(٥) المصدر السابق (٢/٣٣٤).

ثُمَّ كتب إلى مُسَيْلِمَةَ: "بسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ محمدٍ رسول الله إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ: سَلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ والعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ"(١).

وتُوفِّيَ النبيُّ ‘ قبل القضاء على فتنته، فلمَّا انتظم الأمرُ لأبي بكرٍ انتدب له أعظمَ قُوَّاده خالدَ بنَ الوليد على رأس جيشٍ قويٍّ هاجَمَ ديارَ بني حنيفة، وانتهت المعركةُ بظَفَرِ خالدٍ، ومَقتلِ مُسيلمة(٢)، وقد قُتل على يد وَحْشيٍّ أو رجلٍ من الأنصار. نُقل عن وحشيٍّ يَحكي قتله أنه قال: "فلمَّا خرج المسلمون إلى مُسيلمة الكذَّاب صاحبِ اليمامة خرجتُ معهم، وأخذتُ حَرْبَتي التي قتلتُ بها حمزةَ، فلمَّا التقى النَّاسُ رأيتُ مسيلمةَ الكذَّابَ قائمًا في يدِه السَّيفُ، وما أَعرِفُه، فتهيَّأتُ له، وتهيَّأ له رجلٌ من الأنصار من الناحية الأخرى، كِلانا يريده، فهَزَزْتُ حَرْبَتي، حتَّى إذا رَضِيتُ عنها دَفَعْتُها عليه، فوقعتْ فيه، وشَدَّ عليه الأنصاريُّ، فضربه بالسَّيف، فربُّك أعلمُ أيُّنا قتله"(٣).

● **فهذه قصَّة مسيلمة ومعارضته للقرآن، ويبدو للمتأمِّل أمران:**

– الأول: أنَّ مُسيلِمة حين حاول محاولته الفاشلة في معارَضة القرآن الكريم لم يكن قصدُه تكذيبَ ما جاء به محمدٌ ‘، بل قصد أن ينال ما ناله من القَبُول، وأنْ تكونَ له الرِّئاسةُ في قومه، ولا أدلَّ على ذلك من أنه كان يؤمِن بمحمدٍ ونبوَّته ظاهرًا، فلم ينكرها، بل طلب منه – ويا لوقاحته – أن يُشرِكَه معه.

– الثاني: أنَّ محاولات معارضته لا تَرقَى أن تكون معارَضة أصلًا، ولا يَصِحُّ أنْ تُوضع في ميزانٍ مع أفصح كلام وأبلغ بيان؛ فما جاء به مُسيلِمةُ غايةٌ في التَّفاهة

(١) ينظر: تاريخ الرسل والملوك، للطبري (١٤٦/٣)، والكامل في التاريخ، لابن الأثير (١٦٤/٢).
(٢) ينظر: الأعلام، للزركلي (٢٢٦/٧).
(٣) سيرة ابن هشام (٧٢/٢)، والرَّوض الأُنف، للسهيلي (٤٣٤/٥).

والرَّكاكة والسُّخف، وبُعدُه عن الارتقاء إلى محاولة مقارنته بالقرآن الكريم أَبعَدُ بمراحلَ من بُعد ما بين المشرقين.

المطلب الثالث: عَبْهَلة بن كعب:

هو عَبْهَلة بن كعب بن عَوفٍ العَنْسيُّ، وكان يُلقَّب ذا الخِمَار؛ لأنَّه كان مُعْتمًّا مُتخمِّرًا أبدًا[(١)].

أسلم لمَّا أسلمت اليمنُ، وارتدَّ في أيام النبي ﷺ سنةَ عشرٍ للهجرة[(٢)]، فلمّا بلغه أنه ﷺ - حين عاد من حجّة الوداع - مَرِضَ من السَّفَر غيرَ مرضِ موته، ادَّعى النُّبوَّةَ، وكان مُشعِبذًا يُريهم الأعاجيبَ[(٣)]، وغزا نجرانَ، ثم سار منها إلى صَنْعاء، حتى استتبَّ له مُلكُ اليمن، واستطار أمرُه كالحريق، واستغلظ أمرُه، وكان رجلًا فصيحًا، معروفًا بالكِهانة والسَّجْع، والخَطابة والشِّعر، والنَّسب[(٤)].

ولم يُحفظ عن العنسي قرآنٌ، غير أنه كان يزعُم أنَّ الوحي ينزل عليه، وكان إذا ذهب مذهب التنبُّؤِ أَكَبَّ، ثم رفع رأسه، وقال: يقول لي كَيْتَ وكَيْتَ، يعني: شيطانَه[(٥)].

وقُتل قُبيل وفاة رسول الله ﷺ بمُدَّةٍ يسيرة، سنة إحدى عشرة للهجرة[(٦)].

ومن العجيب أنَّ الرسول - صلواتُ ربِّي وسلامُه عليه - قد رأى في منامه أمر مُسيلِمة والعَنْسيِّ؛ فعن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**بَيْنَا أنا**

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٢/١٩٦).

(٢) ينظر: الأعلام، للزركلي (٥/١١١).

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٢/١٩٦).

(٤) ينظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٢/١٩٦-١٩٧)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للرافعي (ص: ١٢٢).

(٥) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للرافعي (ص: ١٢٢).

(٦) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للرافعي (ص: ١٢٢)، والأعلام، للزِّركلي (٥/١١١). وينظر للاستزادة: تاريخ الرسل والملوك، للطبري (٣/٢٣٤).

نائمٌ أُتِيتُ بخزائنِ الأرض، فوُضع في كَفَّيَّ سِواران مِن ذهبٍ، فكَبُرَا عليَّ، فأوحى اللهُ إليَّ أنِ انفُخْهما، فنفختُهما فذهبا، فأوَّلتُهما الكذَّابَين اللَّذَين أنا بينهما، صاحبَ صنعاء، وصاحبَ اليمامة»[1][2].

- **والمتأمِّلُ في قصَّة العَنْسي يلحظُ أمرين:**

– الأوَّل: أنَّ ما قام به كفرٌ، وعِنادٌ مَحْض، وادِّعاءٌ للنُّبوَّة وبطشٌ، غرضُه الحصولُ على الإمارة والقوَّة، فلم يكن له قرآنٌ وإنما خزعبلات خَدَعَ بها قومَه.

– الثاني: أنَّ العنسيَّ استخدم ادِّعاءَه للوحي ليحتالَ على قومه؛ فيحصُلَ بهذا الادِّعاءِ على القَبُول لديهم، ويَخضعوا له.

المطلب الرابع: طُلَيحة بن خُوَيلدٍ الأَسَدي:

هو طُلَيحةُ بن خُويلد بن نَوفَل بن نَضْلَة الأسَديُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أسلم سنة تِسعٍ[3]، ثُمَّ ارتدَّ بعد النبي ، وادَّعى النُّبوَّةَ، وكان فارسًا مشهورًا بطلًا، واجتمع عليه قومه[4]، يقول: إنَّ جِبرائيل يأتيني، وسَجَعَ للنَّاس الأكاذيبَ، وكان يأمُرهم بتركِ السُّجود في الصَّلاة، ويقول: إنَّ الله لا يَصنَع بتَعَفُّرِ وجوهكم وتقبُّح أدباركم شيئا، اذكُرُوا اللهَ أَعِفَّةً قِيامًا[5].

وممَّا أتى به: والحَمَامِ واليَمَامِ، والصُّرَدِ الصَّوَّامِ، قد صُمْنَ قبْلكم بأعوام، لَيبلُغَنَّ مُلكُنا العِراقَ والشَّامَ[6]. إلى غير ذلك.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاريُّ في "صحيحه" برقم: (٤٣٧٤)، (٥ /١٧٠) ومسلمٌ في "صحيحه" (٧ /٥٧) برقم: (٢٢٧٣).

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/٥٣٥).

(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي (٢/١٢٦)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول، لحاجي خليفة (٢/١٨٦).

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٢/٧٧٣).

(٥) الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٢/٢٠٢).

(٦) المصدر السابق (٢/٢٠٦).

وتَبِعه كثيرٌ من العرب[١]، وكان قومُه من الفصحاء، ولم يتابعوه إلا عصبيَّةً، وطلبًا لأمرٍ يحسبونه كائنًا في العرب[٢].

وقد أرسل الصِّدِّيق أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خالدَ بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقتلِه، فخرج إليهم خالدُ بنُ الوليد في أصحاب النبي ﷺ[٣]، فلمَّا التقى الجَمْعان تَزَمَّل طُليحةُ في كِساءٍ له ينتظر بزعمه الوحيَ، وطال ذلك منه، وأَلَحَّ المسلمون على أصحابه بالسَّيف، فقيل له: هل أتاك بعدُ؟ قال طُليحة من تحت الكساء: لا والله، ما جاء بعدُ! فأعاد إليه مرَّتين، كلَّ ذلك يقول: لا. فقيل له: لقد تركك أَحْوَجَ ما كنتَ إليه! فقال طُليحة: قاتِلُوا عن أحسابكم، فأمَّا دِينٌ فلا دِينَ![٤]، فانهزم طُليحةُ وأصحابُه، وقُتل أكثرُهم[٥].

وقد أسلم طُليحةُ بعد ذلك، وحَسُن إسلامُه، وشَهِد القَادِسِيَّةَ وَنَهَاوَنْدَ[٦].

● **والمتأمِّلُ في قصة طُليحة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **يلحظ أمرين:**

- الأوَّل: أنَّ اتِّباع قومِ طُليحة له لم يكن اقتناعًا منهم بما ادَّعاه من معارَضة، ولا تصديقًا له، وإنما كان حَمِيَّةً وعصبيَّةً، وإلا فهُم أهلُ فصاحة، وما كانت لِتنطَليَ عليهم بِضعُ كلمات ركيكة ضعيفة.

- الثاني: أنَّ طُليحة نفْسَه لمَّا ادَّعى الوحيَ والمعارَضة كان يَعلَم أنه كذَّابٌ، وأنَّ ما ادَّعاه إنَّما هو لِخِداعِ قومه؛ ودليلُ ذلك أنه لمَّا أَوشَك على الهُلْك صاح قائلًا: قاتِلوا عن أحسابكم، فأمَّا دِينٌ فلا دِينَ[٧]. فأقرَّ في الشِّدَّة بما أضمر في نفْسه.

---

(١) الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٢٠٢/٢).

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للرافعي (ص: ١٢٢).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٧٧٣/٢).

(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للرافعي (ص: ١٢٣).

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٧٧٣/٢).

(٦) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٣١٧/١).

(٧) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للرافعي (ص: ١٢٣).

الخاتمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصلواتُ ربِّي وسلامُه على خَير الخَلْق أجمعين، محمدٍ النبيِّ الأمين.

أمَّا بعدُ:

ففي ختام هذا البحثِ الذي عُني بموضوعٍ يتعلَّق بأشرف كتاب وأعظمِ كلامٍ، أشكُر اللهَ على التَّمام، وأسأله التوفيقَ والسَّداد، وما كان من صوابٍ فهو من توفيقه، وما كان من خطأ فهو من نفْسي والشَّيطان.

وأسطِّر هنا بعضَ النتائج والتوصيات.

أوَّلًا: النتائج:

١- كان تحدِّي القرآن وذمُّه لآلهة قريش المزعومة، والقَبُولُ العظيم الذي ناله رسولُ الله ﷺ، وناله القرآن كذلك، مِن أهمِّ دواعي معارَضة القرآن.

٢- كلُّ محاولات المعارَضة انتهت بالإخفاق التَّامِّ، وكان من أثرها أنْ سجَّلتْ لنا شواهدَ وقصصًا تَقطَعُ بصِدقِ القرآن، وأنه كلامٌ مُعجِزٌ، لو اجتمع الإنسُ والجِنُّ ما جاءوا بمثْله أبدًا، ولا حتى بما يقاربه.

٣- أغلبُ ما شاع عنه أنه معارَضة للقرآن الكريم كان غايةً في التفاهة والسُّخْف، ولو أردنا الدقَّة فإنَّ تسميتها معارَضة لا تَصِحُّ؛ فهي لا ترقى إلى أن توضع في ميزان واحدٍ للمقارنة مع القرآن أصلًا، وما هي إلا محاولاتٌ هَزْلية هَشَّةٌ مُضحِكة، عَلِم أصحابُها أنهم لن يستطيعوا أنْ يباروا القرآنَ، ولا أن يأتُوا بما يُشبِهه فضلًا عن أن يأتوا بمثْله.

٤- أكثرُ مَنْ شاع عنهم معارضتُهم للقرآن الكريم، كان غرضُهم من تلك المحاولات الحصولَ على القَبُول والسِّيادة في أقوامهم، فظنُّوا أنَّ تقليدَهم للقرآن سوف يحقِّق لهم غايتهم، ويبلِّغُهم مرادهم.

٥- حصل لبعض مُدَّعي المعارَضة مرادُه في السيادة على قومه واتِّباعهم له، ولكن هذا لم يكن عن قناعة منهم بنُبوَّته، بل كان إمَّا عصبيَّةً له وحَميَّةً، وإمَّا طمعًا في الحصول على جاهٍ أو مال من اتِّباعه.

٦- أكثرُ مُدَّعي المعارَضة كانوا يعلمون في قَرارة أنفُسهم صِدقَ رسول الله ﷺ وما جاء به، وأنَّ القرآن ليس من كلام البشَر، وظهر ذلك في فَلَتَاتِ ألسنتهم، أو في لحظاتِ حقٍّ مرُّوا بها، أو في سُلوكيَّاتٍ ظهرتْ منهم.

٧- ما وقع من ادِّعاءات لمعارَضة القرآن الكريم تكاد أصابعُ اليدين أن تُحصيَه؛ فلم يسجِّل لنا التاريخُ ذاك الكمَّ الكبير من المحاولات، وهذا يُفضي بنا إلى نتيجةٍ ظاهرةٍ للعِيان؛ وهي أنَّ العرب لمَّا سَمِعُوا القرآنَ؛ عَلِموا يقينًا أنه حقٌّ، وأنهم لن يستطيعوا أن يأتُوا بمِثْله؛ فهم أعلمُ الناس باللُّغة، ولو كان ادِّعاؤهم أنه من كلام بشَرٍ، نابعًا من قلوبهم، وارتضته عقولُهم، لسمعنا بآلاف المحاولات لمعارضته، وهذا ما لم يحصُل.

أهمُّ التوصيات:

١- العنايةُ بالعلوم التي تتعلَّق بكلام الله، والدِّفاعِ عنه، وبيانِ إعجازه.

٢- في كتب التاريخ الكثيرُ من الشواهد والقصص التي تشهدُ بصِدق رسول الله ﷺ وما جاء به، ومصيرُ المكذِّبين به ومآلُهم مَيدانٌ خصبٌ للبحوث العلمية، لو عُني بها وفُنِّدتْ.

٣- جمعُ كل الروايات الواردة عن قصص المعارضين، وتفنيدها، وبيان صحيحها من سقيمها، اعتمادًا على الأدلة؛ فإن ذلك سيكون بحثًا قيمًا في بابه.

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب،** لأبي عُمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرِّ بن عاصم النَّمَري القُرْطُبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ -١٩٩٢.

٢- **أسرار إعجاز القرآن،** للأستاذ الدكتور مصطفى جمال النجَّار، الطبعة الأولى، ١٤١٧-١٩٩٧م.

٣- **إعجاز القرآن،** لأبي بكر، محمد بن الطيِّب الباقِلَّاني (المتوفى: ٤٠٣هـ)، تحقيق: السيِّد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م.

٤- **إعجاز القرآن والبلاغة النَّبوية،** لمصطفى صادق بن عبد الرزَّاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرَّافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة – ١٤٢٥ – ٢٠٠٥.

٥- **أعلام النبوَّة،** لأبي الحسن، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشَّهير بالماوَرْدي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأول – ١٤٠٩هـ.

٦- **الأعلام،** لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزِّركلي الدِّمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر -أيار/ مايو ٢٠٠٢م.

٧- **البداية والنهاية،** لأبي الفداء، إسماعيل بن عُمر بن كثير القُرشي البُصْرَوي، ثم الدِّمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، دار الفكر، ١٤٠٧هـ -١٩٨٦م.

٨- **بيان إعجاز القرآن،** مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (١٦)]، لأبي سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطَّاب

البُسْتي، المعروف بالخطَّابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، والدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م.
٩- **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، لأبي عبد الله، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهَبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور بشَّار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.
١٠- **تاريخ الطَّبَري = تاريخ الرسل والملوك**، وصلة تاريخ الطَّبَري، لأبي جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمُلي الطَّبَري (المتوفى: ٣١٠هـ)، والصِّلة، لعريب بن سعد القُرْطُبي، المتوفى: (٣٦٩هـ)، دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية –١٣٨٧هـ.
١١- **التَّحرير والتَّنوير** (تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر –تونس، ١٩٨٤هـ.
١٢- **التعريفات**، للزَّين علي بن محمد بن علي، المعروف بالشَّريف الجُرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
١٣- **تفسير غريب ما في الصحيحين البُخَارِي ومسلم**، لأبي عبد الله بن أبي نصر، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي المَيُورقي الحَمِيدي، (المتوفى: ٤٨٨هـ)، تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنَّة – القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥–١٩٩٥م.
١٤- **تهذيب اللغة**، لأبي منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
١٥- **التَّوقيف على مهمَّات التعاريف**، لزين الدين محمد، المدعوِّ بعبد الرءوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثم المُناوي القاهري

(المتوفى: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٦- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

١٧- **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القُرْطُبي**، لأبي عبد الله، شمس الدين، محمد ابن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القُرْطُبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية -القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ -١٩٦٤م.

١٨- **جمال القرَّاء وكمال الإقراء**، لأبي الحسن، عَلَم الدين، علي بن محمد بن عبد الصَّمد الهمداني المصري الشَّافعي السَّخاوي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: عبد الحقِّ عبد الدَّايم سيف القاضي، (أصل الكتاب رسالة دكتوراه بإشراف الدكتور محمد سالم المحيسن)، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٩- **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**، لأبي يحيى، زين الدين، زكريا بن محمد ابن أحمد بن زكريا الأنصاري السُّنَيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

٢٠- **دراسات في علوم القرآن الكريم**، للأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة: الثانية عشرة، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

٢١- **دلائل النبوَّة**، لأبي بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني البَيْهَقِي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨م.

٢٢- **الرَّوض الأُنف في شرح السِّيرة النبوية**، لأبي القاسم، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السُّهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٣- **الزهر الآداب وثمر الألباب**، لأبي إسحاق، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري الحُصري القيرواني (المتوفى: ٤٥٣هـ)، دار الجيل، بيروت.

٢٤- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، لشمس الدين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد الزُّرعي، المعروف بابن قيِّم الجَوزيَّة (ت ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

٢٥- **سلَّم الوصول إلى طبقات الفحول**، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ (كاتب جلبي) وبـ (حاجي خليفة) (المتوفى ١٠٦٧هـ)، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول –تركيا، ٢٠١٠م.

٢٦- **سير أعلام النبلاء**، لأبي عبد الله، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان ابن قَايْماز الذَّهَبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحقِّقين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٧- **سيرة ابن إسحاق** (كتاب السير والمغازي)، لمحمد بن إسحاق بن يسار المطَّلبي مولاهم المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سُهيل زكَّار، دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٢٨- **السِّيرة النبوية**، لأبي محمد، جمال الدين، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحِميَري المَعافري (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقَّا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

٢٩- **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، تحقيق: الدكتور حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - الدكتور يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت -لبنان)، دار الفكر (دمشق -سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٣٠- **الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، لأبي نصر، إسماعيل بن حمَّاد الجَوهَري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين -بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

٣١- **الكامل في التاريخ**، لأبي الحسن، عز الدين، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشَّيباني الجزري، المعروف بعزِّ الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٣٢- **كتاب العين**، لأبي عبد الرحمن، الخَلِيل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السَّامرَّائي، دار ومكتبة الهلال.

٣٣- **الكليَّات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، لأبي البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القُريمي الكَفَوي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة -بيروت.

٣٤- **لسان العرب**، لأبي الفضل، جمال الدين، محمد بن مُكرَم بن علي ابن مَنْظُور الأنصاري الرُّويفعي الأفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر -بيروت، الطبعة: الثالثة -١٤١٤هـ.

٣٥- **مجمع الأمثال**، لأبي الفضل، أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النَّيْسابُوري (المتوفى: ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان.

٣٦- **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، لمحمد بن محمد بن سويلم أبي شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، مكتبه السنة – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٣٧- **المعجزة الكبرى القرآن**، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، المعروف بأبي زَهْرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

٣٨- **المعجم الوسيط**، لـ (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجَّار)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

٣٩- **معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرَّازِي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

٤٠- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.

٤١- **الموسوعة في صحيح السِّيرة النَّبويَّة**: دراسة موثَّقة لما جاء عنها في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة والروايات التاريخية المعتمدة علميًّا مرتَّبةً على أعوام عُمر النَّبي ‘ (العهد المكي)، لأبي إبراهيم، محمد إلياس عبد الرحمن الفالوذة، مطابع الصفا – مكة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.